استراتيجية حافة الهاوية مع نظرة خاصة للحالة بين إسرائيل وايران في شهر ابريل 2024
Brinksmanship

اللواء الركن
علاء الدين حسين مكي خماس

مدخل

1- في شـــهر ابريل من عام 2024، حبس العالم أنفاســـه وهو يتوقع ان ينشـــب صـراع كبير قد يؤدي الى اندلاع حرب مدمرة في الشرق الأوسط وبالتالي الى احتمال اندلاع حرب عالمية ثالثة ، ويعود السبب في ذلك الى انه وفي خضم الموقف الخطير والحرب المدمرة التي تشـــنها إســـرائيل على غزة منذ أكتوبر العام الماضـي على اثر هجوم حماس بما عرف بطوفان الأقصـى، فقد تزايدت حدة التوترات الشـــديدة في المنطقة وبين الأطراف المتصـــارعة وهي إســـرائيل وحلفاؤها من جهة واهم مســـــانديها الولايات المتحدة الامريكية ، ومن الجهة الأخرى الفلســـطينيون في غزة (حماس) وحزب الله اللبناني الذي وجد نفســـه منخرطا في الصـراع وان أراد ان يكون محدودا ، ومن ورائهم جميعا ايران التي تتزعم ما يعرف بقوى المنع والمقاومة وتشجعهم بالمال والسلاح والتدريب ، بل تشـــارك في ســـوريا من خلال المليشـــيات المرتبطة بها ومن خلال وحدات الحرس الثوري الإيراني التي تقاتل هناك منذ اندلاع الثورة في ســـــوريا عام 2011 وحتى الان . وقد أدى التصـــــعيد الى زيادة احتمالات الحرب ، والى تآكل حالة الردع[1] التي كانت قائمة بين إســـرائيل وايران وبينها وبين حزب الله اللبناني ، وأصـــبحت المنطقة على حافة الحرب التي لا يريدها احد كما اعلنوا جميعهم ، بالرغم من ان أعمالهم جميعا اتسـمت بممارسـات اسـتراتيجية حافة الهاوية.

[1] مركز تريندز للدراسات والبحوث، مغزى تآكل حالة الردع بين إسرائيل وايران ، 20/ 4 / 2024، أبو ظبي

2- ضــمن هذا المنظور ســابحث في اســتراتيجية حافة الهاوية واذكر فيها بعض الأمثلة على ممارستها ومنها الحالة بين إسرائيل وايران عام 2024 ، وما آلت اليه في النهاية وما هي الاحتمالات الممكنة

استراتيجية حافة الهاوية مفهوم وتعاريف

3- بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام 1945 في أوروبا باستسلام المانيا، وفي المحيط الهادي عام 1946 بعد ان اسقطت أمريكا قنبلتيها النوويتين فوق هيروشيما ونكازاكي واستسلام اليابان ، شهد العالم فترة بسيطة من السلام الشامل بين جميع القوى الرئيسية آنذاك وهي قوى التحالف الغربي بقيادة الولايات المتحدة الامريكية وقوى التحالف الشرقي بقيادة الاتحاد السوفياتي الذي كان تحت حكم ستالين . لم تمض فترة الا وبدأت الخلافات تطفو على السطح بين المعسكرين الغربي والشرقي وهم الحلفاء المنتصرون، وكانت الأسلحة قد تطورت آنذاك حيث امتلك المعسكر الغربي الأسلحة النووية محتكرا ومنفردا بهذا الامتلاك ولو الى حين، وبذا كان القطب الوحيد المهيمن على العالم. لكن لم تكد تمض الا فترة قليلة، حتى تمكن الاتحاد السوفياتي عام 1949 من امتلاك السلاح النووي، واعقب ذلك نشوء قطب عالمي ثاني، فاصبح العالم عمليا تحت رحمة هذين القطبين. وجدير بالذكر ان نذكر ان الحرب الباردة بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، حوالي عام 1947، وانتهت في نهاية الثمانينيات أو بداية التسعينيات. حيث كانت هذه الفترة من التوتر السياسي والعسكري بين القوى الرئيسية في العالم في ذلك الوقت، أساسًا بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي، بالإضافة إلى حلفائهم وشركائهم.

4- وفي هذه الفترة نشأت نظريات استخدام الأسلحة النووية ومعها نظريات الردع والردع المتبادل ، والتي أساسها الأسلحة النووية . ومفهوم الردع ببساطة ان طرف ما يردع الطرف الاخر عن التصرف العدواني، والا واجه عواقب لا يمكنه تحمل نتائجها، وبإمكان القارئ الكريم الرجوع الى المصادر الكثيرة المنشورة

حول الموضوع[2] . لكن الطبيعة البشرية، ومطاليب الحياة ومجرى السياسات العالمية كانت وما زالت تحتم وجود النزاعات او المناكفات السياسية بين هذا الطرف او ذاك، لاسيما عند تضارب المصالح الوطنية بين هذه الأطراف. اذن ما العمل؟ اذا كان اللجوء الى الحرب امر غير وارد ويؤدي الى التهلكة الاكيدة بمن يقدم عليها، واذا كان لابد من تحقيق المصالح الوطنية والقومية، واذا كان لابد من ممارسة السياسة الدولية بما يضمن هذه المصالح، فما العمل هنا ؟؟

نشوء فكرة حافة الهاوية وممارساتها

5- من هذه الحالة نشأت فكرة سياسة حافة الهاوية والتي كان جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكي في عهد الرئيس ايزنهاور هو اول من استعمل مصطلح سياسة حافة الهاوية وذلك خلال فترة الحرب الباردة، الخمسينيات من القرن العشرين[3].

6- تعرف سياسة واستراتيجية حافة الهاوية (Brinkmanship) بانها استراتيجية سياسية وعسكرية تعتمد على تصعيد التوتر بين الدول أو الأطراف الدولية حتى الحد الأقصى ("الحافة")، دون الوصول إلى نقطة الاشتباك المباشر للحصول على النتائج المطلوبة او تحقيق الأهداف المحددة. وتعتمد هذه الاستراتيجية

---

[2] المصدر السابق ص 1

[3] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9_%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9

سياسة حافة الهاوية هي سياسة يُقصد بها تحقيق مكاسب معيّنة عن طريق تصعيد أزمة دولية ما، ودفعها إلى حافة الحرب النووية، بصورة خاصة، مع إيهام الخصم أنك تأبى التنازل أو الرضوخ ولو أدّى بك ذلك إلى اجتياز هذه الحافة الخطرة .[1]يُعتبر وزير الخارجية الأمريكي جون فوستر دالاس، الذي كان أول من استخدم هذا المصطلح، مبتدع "سياسة الحافة" وممثّلها الأول .[1]هذا التكتيك يُستخدم في السياسة الدولية والسياسة الخارجية وعلاقات العمل والاستراتيجية العسكرية الحديثة، من خلال الانخراط في تهديد الأسلحة النووية ورهانات التقاضي.

على التهديد المؤكد بالرد بشكل قوي في حال تجاوز الطرف الآخر هذه الحدود المحددة[4].

7- وتعرف أيضا على أنها " ممارسة متابعة ودفع وضعاً خطيراً إلى الحدود القصوى للسلامة، وذلك لتحقيق نتيجة مرغوب فيها." كما تم تعريفه أيضًا على أنه "فن أو ممارسة الذهاب إلى حافة الحرب، أو إلى حافة موقف خطير، من اجل اقناع الخصم بالتراجع[5]." تشمل استراتيجية حافة الهاوية محاولات الدول لتخويف بعضها البعض لتجنب الدخول في الحرب، أي لردعها ، لذا فهي احدى جوانب استراتيجية الردع والردع المتبادل ، ولكن هذه الاستراتيجية تضم احتمالا خطيرا هو أنه إذا تم دفع إحدى الدول المعنية بعيدًا جدًا واستفزازها بما لايمكنها تحمله ، فقد تحدث عواقب غير مقصودة. و يُستخدم مصطلح "حافة الهاوية" لوصف التوتر الاقصى الذي يمكن أن يؤدي إلى نتائج كارثية إذا لم يتم التصرف بحكمة. تُستخدم هذه الاستراتيجية غالبًا في العلاقات الدولية والسياسة الدولية، وشاع اللجوء اليها خلال فترة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي.

8- تعتمد ممارسة سياسة او استراتيجية حافة الهاوية بشكل ضمني او بشكل صريح على نظرية اللعبات[6] games theory ونتائجها التي يمكن الحصول عليها

---

[4] مؤسسة بروكنكز للدراسات الاستراتيجية
https://www.brookings.edu/ar/events/%d8%aa%d8%ae%d8%b7%d9%91%d9%8a-%d8%a7%d9%84%d8%ad%d8%af%d9%88%d8%af-%d8%a7%d8%b3%d8%aa%d8%b1%d8%a7%d8%aa%d9%8a%d8%ac%d9%8a%d8%a9-%d8%ad%d8%a7%d9%81%d8%a9-/%d8%a7%d9%84%d9%87%d8%a7%d9%88%d9%8a%d8%a9

[5] الويكيبيديا العربية
https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%B3%D9%8A%D8%A7%D8%B3%D8%A9_%D8%AD%D8%A7%D9%81%D8%A9_%D8%A7%D9%84%D9%87%D8%A7%D9%88%D9%8A%D8%A9

[6] نظرية الألعاب هي دراسة اتخاذ القرار الاستراتيجي بين الأفراد، على الرغم من تسميتها بـ "نظرية اللعبة"، إلا أنها تشير إلى أي تفاعل بين عدة أشـخاص حيث يتأثر سـداد كل شـخص بالقرار الذي يتخذه الآخرون .يتم تطبيق نظرية الألعاب بشكل شائع في العديد من العلوم الاجتماعية، بالإضافة إلى علوم الأنظمة والحرب والسياسة وعلم النفس وعلوم الكمبيوتر.
https://bing.com/search?q=%d9%86%d8%b8%d8%b1%d9%8a%d8%a9+%d8%a7%d9%84%d9%84%d8%b9%d8%a8%d8%a7%d8%aa

من خلال كشف المعلومات ذات المصداقية العالية باستخدام إما استراتيجيات التعامل بأسلوب حافة الهاوية او باستخدام استراتيجية اللعبات المعتمدة على نتائج (اقصى الحدود القصوى – Maxi –Min) أو استراتيجيات ماكسيمين[7]. تعتبر استراتيجية ماكسيمين في اختيار الفائدة القصوى فوق عدة توازنات لتنازلات الطرف الضعيف عند كل مستوى من مستويات القوة العسكرية بين الحرب والسلام أكثر تقييداً على التكرارات المتاحة للعب اللعبة، مما يوفر فوائد أقل للتوازنات عند الانتقال الى الحلول المشتركة، وبشكل عام تفضل التنازلات الصغيرة إلى المتوسطة على الانتصارات العالية اثناء العمل بأسلوب حافة الهاوية.

9- يُعتبر العمل على حافة الهاوية في كثير من الأحيان امتدادا طبيعيًا، وحتى ضروريًا، للقوة العسكرية من منظور النماذج القياسية لانتقال السلطة. فمثلا لا يواجه رئيس الدولة حافزًا لاستخدام الخداع كمراهنة بدلا من الحرب وذلك من خلال تقديم نماذج معلومات معينة من اجل التفاوض في الأزمات، بل ان مصالح هذا القائد او الرئيس تُعظم من خلال هذا الأسلوب وتلك المخادعة ذلك. ان القادة الذين يواجهون احتمالية تكبد تكاليف عالية اذا ما خاضوا الحرب باستخدام القوة العسكرية للدولة، سيطالبون بتنازلات عسكرية عالية بالمقابل من متحديهم وخصومهم الذين يخشون بشكل لا ريب فيه من الأفعال العسكرية العدوانية. يتماشى هذا النموذج مع العديد من الاستنتاجات الشائعة المستخلصة من الأزمات التاريخية، مما يوحي بأن الدول العقلانية يجب أن تجد من الطبيعي ان تلاحظ نتائج المواجهات المكثفة في مجالات السياسات ذات المستويات المتوسطة أكثر من الاهتمام أو مشاركة أي طرف آخر. ليس هذا وحسب، بل

[7] ماكسمين تعريب لمصطلح Maxi – Min وهو مصطلح في نظرية اللعبات Game theory المستخدمة في إيجاد حلول للمعظلات بعد ترييضها ، أي تحويل معطياتها الى فيمة يعبر عنها بالأرقام ، ومن ثم عمل مقارنة او مجابهة فيما بينها للتوصل الى احسن الحلول او اقصى قيمة Maximumm – Maxi والى الحل الذي يعطي ادنى قيمة –Minimum Min ، وبالتالي اختيار اقصى القيم الدنيا للحصول على اقصى ما يمكن من الفائدة باقل ما يمكن من المخاطرة ويعبر عنه ب Mxi– Min

حتى النواقص المعقولة في كفاءة القوات العسكرية ينبغي ان تتماشى مع التنازلات السلمية النسبية التي يقدمها الطرف الضعيف. هناك أمثلة على استخدام حافة الهاوية كاستراتيجية عسكرية. وسنذكر في نهاية هذا البحث باختصار اثنتان منهما حدثتا في القرن العشرين ، وهما ازمة السويس عام 1956، وأزمة الصواريخ الكوبية عام 1962، وفي القرن الحادي والعشرين ازمة ايران– إسرائيل والظربات المتبادلة في ابريل عام 2024.

العناصر الرئيسية لاستراتيجية حافة الهاوية

10– لابد لنا ان نتذكر ان نظرية او ممارسة سياسة حافة الهاوية كالنت قد ابتدأت تحت ضل الصراع النووي والحرب الباردة وسباق التسلح في منتصف القرن العشرين كما سبق وبينا. لذا فالأسلحة النووية او التهديد النووي يعتبر عامل مهم في هذه الممارسات. ان العناصر الرئيسية لهذه السياسة هي:

- وجود مصالح متناقضة
- وجود الإرادة والعزم الأكيد وبرود الاعصاب للمضي قدما بالتصعيد وصولا الى حافة الهاوية.
- عدم رغبة الاطراف بتجاوز العتبة الى الحرب الفعلية.
- امتلاك الأطراف المتنازعة أسلحة ووسائل رادعة ذات مصداقية.
- وجود قنوات اتصال مفتوحة بين الأطراف المتنازعة اما مباشرة او غير مباشرة.
- امتلاك القيادات السياسية للأطراف المتنازعة تفكير عقلاني وفهم منطقي وادراك استراتيجي وحس انساني .
- ادراك الأطراف المتنازعة ان كلفة عبور العتبة اكبر بكثير من التنازلات التي يمكن تقديمها.
- ادراك الأطراف المتنازعة ان حفظ ماء الوجه يكون أحيانا هو البديل او النظير للنصر المطلوب .

سياق ممارسة استراتيجية حافة الهاوية

11- يعتمد الاستخدام الناجح لاستراتيجية حافة الهاوية ان يقوم أحد الأطراف بإرسال تهديد موثوق به وذو احتمالية نجاح عالية لإقناع الطرف الآخر بالابتعاد عن الحافة المطلوب عدم الوصول اليها او تجاوزها، وبالتالي، عندما يتخطى الطرف الآخر هذا الخط، يتعين على الطرف الأول الرد بسرعة وبشكل مناسب على الانتهاك بطريقة تجعل الطرف الثاني المتجاوز "يخسر" ويدرك أن الفائز هو في حالة أفضل. يمكن أن تتم هذه العملية بالتهديد بتوجيه ضربة مدمرة وماحقة، ويعتبر البعض ان الأسلحة النووية هي العمود الفقري لممارسة استراتيجية حافة الهاوية. ويتعين على الطرف المقيد ان يُدرك الموقف ويتفاعل معه ولا يفشل في فهم وتقدير الرسالة الموجهة له أو في إدراك حماسة الطرف الآخر وتصميمه. وهناك عامل آخر حاسم لإجبار الطرف الآخر على التراجع وهو البيان بكل وضوح للحدود الواجب عدم تجاوزها او العتبة التي ينبغي عدم عبورها؛ وإذا كان الطرف الآخر غير متأكد من موقع الحد المسموح، فقد يُعتبر الطرف الأخير هو الطرف الذي سبب الاستفزاز بدون مبالاة بطريقة فسيولوجية.

12- وكما ذكرنا بالفعل، فان سياسة واستراتيجية حافة الهاوية غايتها الحصول على النتائج مع تفادي النتائج المروعة لو نشب الصراع وذلك عن طريق دفع الأفعال أو الكلمات أو الحالات إلى الحافة القصوى حيث، يُأمل أن يدرك الخصم حدود الخط ويصبح "الخاسر" لأن الطرف الآخر قادر على وقف الأفعال أو "الانسحاب" والحفاظ على ماء وجهه.

بعض السمات المهمة في استراتيجية حافة الهاوية

13- المراهنات عالية الرهان High stake gambles

لماذا تكون مثل هذه المراهنات خطرة؟ ان منطق الردع النووي يتطلب توازناً مستقراً من الرعب. ان تراجع وتدهور تكتل قوى الحرب الباردة بعد انتهاء تلك الحرب أدى الى تراجع الإنفاق العسكري للدول وتراجع الإنتاج العسكري وانتاج

الأسلحة والذخائر. ونتيجة لذلك، تراجعت قدرة الضربة الثانية[8] التي هي من اهم مكونات الاستراتيجيات النووية، الى الدرجة التي لن تشجع أي عدو يعمل بأسلوب منطقي من تحمل مخاطر بدء الهجوم النووي الأول والاحتفاظ بأية قدرة متبقية للضربة الثانية. في السياسة النووية الأمريكية الحديثة، على سبيل المثال، يظل مذهب التناقض في عدم المسؤولية تجاه حليف يتعرض لهجوم قائمًا. ان الولايات المتحدة تتجاهل تكتيكياً فكرة أنها، في حالة تعرضها للهجوم، ستستخدم الأسلحة النووية ردًا على الهجوم نيابة عن حليف لا يمتلك قدرة ردع. ويجادل الخبراء الامريكان بأن هذا لا يعني التخلي عن الضمان النووي الذي تقدمه لحلفائها في إطار معاهدة منع انتشار الأسلحة النووية. على عكس الوضع الموصوف سابقاً، يمكن أن تؤدي الأنماط الشديدة من العمل على حافة الهاوية ليس فقط إلى نشوء مخاطر ذات احتمالية منخفضة وقيمة عالية، ولكن أيضًا إلى حالات تكون فيها اعتقادات القادة حول المكاسب متباينة ومختلفة تمامًا. فقد يعتقد بعض القادة أن النجاح مضمون تماما وأنه سيفوز في الصراع من أجل الاستحواذ على الأراضي، ولكن ليس بالقضاء الكامل والشامل على الأعداء المهزومين، بل بمساعدتهم ورعايتهم. وقد يعتقد آخرون أن هزيمة العدو الشاملة هي التي ستحقق الفوز. هذا الوضع خطير لدرجة تتطلب إيجاد مصطلح او تسمية تتجاوز مجرد "مراهنات عالية الرهان"، وهي تسمية تشبه الاصطلاحات الذاتية من أعلى الدرجات، وتُطلق عليها تسمية "مراهنات عالية الرهان الخطيرة".

14- الردع النووي

[8] الضـربة الثانية هي مكون مهم من مكونات الاسـتراتجية النووية والردع النووي ، التي كانت سـائدة اثناء الحرب البارد، حيث اعلنت القوى النووية انها لن تكون البادئة بتوجيه الضـــربة الأولى من اجل تجنب اندلاع الحرب النووية ، ولكن اذا فشل الردع وتمكن الخصم من توجيه الضربة الأولى فعلى الدولة المعنية ان تمتلك ما يكفي من القوة لتوجيه الضربة الثانية نحو الخصم الذي بادر بالصربة الأولى وبالتالي تكبيده خسارة لايمكنه تحملها . وهذا هو مفهوم الردع النووي.

يقول المدافعون عن تأثير الردع للأسلحة النووية، إن امتلاك هذه الأسلحة ووسائل اطلاقها وايصالها الى الهدف، من قبل القوى العظمى في فترة الحرب الباردة حال دون تطوير القوتين العظميين لاختلافاتهما وتصعيدها الى صراع نووي. وبعبارة أخرى، فإن الردع النووي كان سببًا في استقرار الأمور خلال ذروة الحرب الباردة، ولم يشهد العالم صراعًا نووي ذري او هايدروجيني. ويجدر بالذكر انه في بداية الحرب العالمية الثانية، قام البروفيسور البريطاني فيزياء ب. ل. كابيتزا بإرسال رسالة إلى رئيس الوزراء البريطاني أكد فيها أن البلد الذي يتمكن من صنع القنبلة الذرية "سيمتلك القدرة على تدمير الكوكب". لذا فان الدمار الناتج عن هذا السلاح الحربي ذو القدرة الفائقة، يبدو ثمنا لا يمكن لاحد احتماله.

15- خلال الحرب الباردة، واجهت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بعضهما البعض بالردع النووي. هذه الاستراتيجية، التي حاولت القوتان العظميان من خلالها ممارسة الضغط دون الاستسلام للخصم، هي نفسها استراتيجية حافة الهاوية. ومع ذلك، ومع استثناء رئيسي واحد: فان حافة الهاوية، كاستراتيجية عسكرية والتي تستخدم في نزاع بين الدول الكبيرة، يمكن أن تنتهي بسرعة وبشكل مأساوي للغاية بالنسبة للجنس البشري.

15- **الحرب النفسية**

في الأمثلة اللاحقة عن ممارسة حافة الهاوية كاستراتيجية عسكرية، ومن خلال ربطها بشكل واضح بعلم النفس، يتم إضافة طبقة إضافية من الشعور بالحصانة وعدم القابلية على التعرض للهزيمة إلى البرنامج النفسي اليومي والحربي النفسي الحرج للدولة العدوة المتصورة. هذا الارتباط المزعوم بين علم النفس وحافة الهاوية كافٍ غالبًا لتصعيد أي استجابة من العدوان الفعلي إلى حالة طوارئ عسكرية عالمية بسبب عدم فهم التهديد النادر من علم النفس وتهديد التبادل النووي نفسه. مرة أخرى، يسمح التبادل المفاجئ والمتوقع للتهديدات الشديدة للدولة العدوانية بتحقيق مصالحها الوطنية دون الحاجة إلى نزاع عسكري فعلي ومحتمل والذي قد يكون مدمرًا. هنا، عندما تتعارض المصالح الوطنية والاستراتيجيات العسكرية،

عادةً بين الدول ذات القدرات النووية، ينطوي هذا النوع من الحرب النفسية على تهديد عسكري مباشر بمقياس غير مسبوق ونهاية الصراع. إذا لم يتراجع الخصم على الفور، فإن الحرب (وكذلك الإمكانية الكاملة للتبادل النووي) ستليها فوراً. وعندما يتم اتباع مثل هذا النهج، فإن التخلص الوحيد المتيسر للخصم المستجيب هو التخلي عن مصالحه الوطنية بسبب تهديد عسكري وإنقاذ ماء الوجه بأفضل ما يمكن. بل وحتى في لعب المحاكاة لمثل هذا الحدث يظهر ان الخصم العدواني قادر على تحقيق ما يريده بالضبط من دون إطلاق اطلاقة واحدة لصاروخ نووي. باختصار، ان العمل بأسلوب حافة الهاوية مشابه للعبة يمارسها البعض ولاسيما الطيارون واسمها لعبة الدجاجة[9] Chiken (باعتبار ان الدجاجة جبانة وتخاف بسرعة) والتي يكون فيها الفوز من نصيب الجانب الذي لا يبدي خوفه اولاً. على الرغم من أن الحرب النفسية يمكن أن تطبق بأشكال عديدة داخل وخارج ساحة المعركة، إلا أن إحدى أشكال الحرب النفسية المعروفة تتضمن استخدام حافة الهاوية كاستراتيجية عسكرية.

الانتقادات والمخاطر المتعلقة باستراتيجية حافة الهاوية

16- عندما يتم الكتابة ضمن السياسات العالمية عن موضوع مثل " سياسة حافة الهاوية النووية" أو "الضربة الاستباقية النووية " ، فإن ذلك يضع شكًا في الغاية المركزية للإستراتيجية المبنية على فكرة : "لا توجد هجمات مفاجئة بعد الآن، ولا ضربة استباقية. هذا الشك، الذي يُعبر عنه في الرأي العام، يضع ضغطًا على السلطة السياسية على الأقل لعدم التصرف بشكل مفاجئ، بحيث يظهر كما لو كان رد الفعل للرأي العام سيأتي قبل هجوم مفاجئ وغير متوقع أو غزو غير

[9] لعبة الدجاجة المنتشرة سابقا بين طياري بعض القوات الجوية هي ان يتحدى اثنان من الطيارين بعظهما، فيقوما بالتحليق بطائرتيهما المقاتلتان ثم يقتربان من بعضهما راسا لرأس وبمسار تصادمي ان استمرا على نفس السرعة والارتفاع. ويكون الخاسر هو اول من يعمل على تفادي الاصطدام، لذا يسمى بالدجاجة ويكون الفائز هو الطيار الاخر الذي بقي على نفس السرعة والاتجاه ولم يغير مساره . ومن المصطلحات الإنجليزية الطريفة ان يقول شخص على شخص آخر انه اخافه (I chikened him) أي انه حوله الى دجاجة .

مبرر او انتشار عسكري، خاصة إذا كان ذلك يؤثر على المدنيين. بعد التأكيد الذي أُعطي لحملات طويلة من التحضير السياسي والعسكري السابق لم يكن متوقعًا وغير المتوقع لأهدافها، تحولت الغاية المركزية للإستراتيجية النووية الامريكية من " لن يقوم الامريكان أو حلف شمال الأطلسي بتهديد الدول غير المستعدة" إلى الرد على الشكوك حول التهديدات "بالرد بضربات مكثفة".

17- وعلى الرغم من المخاطر الهائلة التي ينطوي عليها ذلك، فقد كانت حافة الهاوية استراتيجية مقبولة عبر التاريخ ومورست كثيراً . فهذه الاستراتيجية قادرة على منع نشوب الحروب في الظروف الصحيحة، مثلما حدث في أزمة الصواريخ الكوبية، لكن يبقى خطر الحرب مرتفع إلى حد كبير – وقد اضطر خمسة[10] من بين تسعة رؤساء أمريكيين الذين مارسوا استراتيجية حافة الهاوية النووية اضطروا إلى استخدام القوة وعبور حافة الهاوية. بالإضافة إلى ذلك، حتى إذا لم تحدث حرب، فان فقدان المصداقية يمكن أن يؤدي إلى الذل في موقف سيئ بالفعل – ففي العام 1961، هددت البرتغال أيضًا بالذهاب إلى الحرب مع الهند بشأن وضع مقاطعة (جوا– Goa) لكن لم يأخذهم أحد على محمل الجد، وانضمت جوا في النهاية إلى الهند بصمت تام.

18- التصعيد نحو الصراع

التصعيد نحو حافة الهاوية في جوهره هو نوع من الردع عن طريق التهديد بالرد بالمثل. كانت الفكرة هي أنه "من خلال التلاعب بالتهديد بشكل مناسب، يمكن للجانب القوي أن يجبر الضعيف على التوقف عن سلوكه العدواني او تغيير

[10] وهم كل من : 1. رونالد ريغان: قام بعمليات عسكرية محدودة، مثل غارة ليبيا عام 1986 بعد هجمات ليبيا على الولايات المتحدة. 2. بيل كلينتون: أمر بعمليات عسكرية محدودة، مثل غارات جوية على العراق وصربيا، وكذلك العمليات في الصومال وكوسوفو. 3. جورج بوش الأب: قاد عملية "عاصفة الصحراء" ضد العراق عام 1991 بعد غزوه للكويت. 4. باراك أوباما: قاد عمليات عسكرية محدودة في العراق وسوريا ضد تنظيم الدولة الإسلامية. 5. دونالد ترامب: أمر بضربة جوية في سوريا رداً على استخدام الأسلحة الكيميائية من قبل النظام السوري.

تصرفه، والا واجه عواقب وخيمة "، وهذا سيؤدي بالتالي إلى تصعيد الصراع إلى مرحلة من عدم قبول النصح المتبادل)Zone of Mutual Inadvisability MIZ) . ان هذا في جوهره، هذا سيجعل من الممكن ممارسة استخدام القوة بدون قيود بدلاً من تقييد كل طرف بتصرفاته المشروطة. ومع ذلك، فإن التكاليف المرتبطة بذلك، سواء كانت هناك انتصارات تم الحصول عليها من هذه العملية، حيث زادت الصواريخ الباليستية ICBM التي يمتلكها كلا الطرفين من احتمالية وقوع كارثة عالمية إلى ما يقرب من 100%، مما يجعل الاستراتيجية غير قابلة للاستخدام العام. ان "الردع الوجودي" سوف لن يعزز السلام بين طرفين إلا عندما تتعرض مصالح الطرفين للتهديد من قبل خصم أساسي، وبدون وجود شبح الحرب الوجودية، فإن كلتا الدولتين ربما لن تتجنبا "التشاجر". ان استراتيجية حافة الهاوية تظهر بوضوح استمرارية التصرفات والممارسات التي كانت منتشرة أيام الحرب الباردة عندما انخرط أولئك الذين ليس لديهم ترسانة نووية في سلسلة من النزاعات.

19-عندما يتم استخدام استراتيجية التصعيد نحو الصراع لأول مرة بشكل رئيسي كوسيلة ردع بهدف التخفيف من النزاعات قبل حدوثها، يجب اللجوء الى استراتيجية تحفيز الخصم للتصرف بحذر وذلك عن طريق التهديد بالتصعيد إلى منطقة تبدو فيها سياسات الخصم غير مجدية . وفي مناسبات كثيرة تم استخدام التصعيد نحو الصراع كأداة لتجنب الصراعات، وفي الوقت المناسب، ومع خصم يخشى التصعيد، كانت الاستراتيجية ناجحة في أغلب الأحيان. أشار(ديك ليبو) وهو عالم سياسة دولية وأستاذ في جامعة جورج واشنطن، حيث يعمل في كلية السياسة والخدمة العامة وتميز بأبحاثه ومساهماته في مجال العلاقات الدولية والسياسة الدولية. أشار في مقاله "التحذير المسبق هو تسليح مسبق "، إلى أن السلام عادة ما يكون ممكنًا فقط عندما يكون المتخاصمون على علم بتكلفة الحرب وخلال فترات الأزمات " إذا كانت لدى الجانبين قدرة محدودة على القتال ويعتقد كل منهما أن الآخر لديه نفس القدرة". هذه الأفكار، الاعتقاد في التدمير المتبادل المضمون والرهانات الكبيرة المعنية، هي

التي جعلت التصعيد نحو الصراع خيارًا قابلًا للتطبيق ما بعد الحرب العالمية الثانية في سنوات الحرب الباردة.

20-عدم إمكانية التنبؤ والتفسير الخاطئ

لا تلجأ الدول عادة إلى المواجهات المباشرة مع خصم يتجاوز إمكاناتها او خصم قوته تتجاوز مما تعتقد انه يوازيها قوة. ومن المهم أن نلاحظ أن كلما جعلت الدول نواياها اكثر شفافية من اجل تجنب قيام الخصم بالحسابات الخاطئة، كلما زادت نسبة هذه الحسابات الخاطئة؛ يعني هذا أنه سيكون من الأفضل بالنسبة للدول لتفادي خطأ الطرف الاخر بالتنبؤ بأعمالها، ترك قناة مفتوحة للتواصل بينهما. وبالتالي، حتى لو قبلنا أن الحديث البسيط بين الخصوم الاستراتيجيين يمنع التفسيرات الخاطئة العمدية، فانه يبدو على الرغم من ذلك أنه في النزاعات ذات المخاطر العالية، ستظهر التفسيرات الخاطئة العارضة بتردد يتناسب مع مكعب مستوى الشفافية. كما أود هنا أيضًا أن اشير إلى معدل النظرات السابقة على التفسيرات الخاطئة كدليل إضافي على أن الفكرة البسيطة للتتبع العام تعتبر فكرة آمنة.

ان الدول عادة لا تثق ببعضها، وهذه حقيقة سياسية بسيطة وواضحة. وهذا يعني أن مجموعة متنوعة من التقديرات الخاطئة لنوايا الدول تحدث عندما تستخدم الدول البيانات لتوصيلها إلى الآخرين. وعندما تنظر الدولة إلى دولة أخرى باعتبارها مفرطة القوة (على سبيل المثال، من خلال التهديد بالحرب الصريحة) دون مكاسب ظاهرة، فإنها تعتبرها غير منطقية، وبالتالي خطرة بشكل غير متوقع. ونتيجة لهذا التوافق تواجه الدولة، عندما تواجه استراتيجية ما مكافئة لاستراتيجيتها، تقديرات خاطئة للحاضر ، والمستقبل

21- امكانية حدوث نتائج كارثية .

على الرغم من أن الولايات المتحدة كانت الفائزة في أزمة الصواريخ الكوبية، إلا أنها اعترفت ضمنيا ومن خلال اتفاقية الحظر الجزئي للاختبارات النووية، بأن الأسلحة

النووية لا تمتلك أي قيمة في القتال الحربي تقريبًا. وبالتالي، كانت محاذير السماح للسوفيات بوضع صواريخهم في كوبا أقل بكثير من فوائد منعهم من ذلك. لذا يمكن القول انه يجب توخي الحذر الشديد عند ممارسة استراتيجية اللعب بالنار في عالم يحتوي على أسلحة نووية لأنها قد تؤدي في بعض الأحيان إلى كارثة عالمية. ان الحرب النووية ليست في مصلحة أي من الأطراف المتنازعة (حيث تؤدي إلى موت الناس في كل من البلدين المتحاربين ويمكن أن تسبب سقوطهما) ولا في مصلحة الأطراف المحايدة التي ستعاني من خسائر جانبية خطيرة. وهذا يفسر الحاجة الملحة إلى الحفاظ على السلام الدولي ويبين لماذا يقوم الدبلوماسيون عادة بحل النزاعات من خلال المفاوضات المستمرة. حتى عندما شجعت المنافسة الاقتصادية المبنية على نظريات العالم الاقتصادي (هايك) والتي تشجع الحرية الشخصية (وبالتالي الحرية الإيجابية)، فإنها لم تشجع على حرية الأنشطة المتطرفة او المتشددة او الطامعة التي تنادي بالحصول على أكثر من حصتهم تقريبًا العادلة من كعكة توليد الثروة العالمية.

بعض الأمثلة التاريخية لاستراتيجية حافة الهاوية

أزمة السويس

نشوب الازمة

22–أزمة السويس عام 1956 كانت نزاعًا دوليًا نشأ بعد قرار الرئيس المصري جمال عبد الناصر تأميم قناة السويس ووضعها تحت سيطرة مصر في يوليو 1956. فقامت فرنسا وبريطانيا بالتآمر مع إسرائيل للهجوم على مصر بهدف استعادة السيطرة على القناة وإزالة عبد الناصر من السلطة. في 29 أكتوبر 1956، قامت القوات الإسرائيلية بغزو سيناء، تلتها فرنسا وبريطانيا بشن هجوم جوي وبحري ضد مصر يوم 31 أكتوبر 1956 بحجة حماية القناة والحفاظ عليها مفتوحة[11].

11

https://bing.com/search?q=%d9%85%d8%aa%d9%89+%d8%ad%d8%af%d8%ab+%d8%a7%d9%84%d8%b9%d8%af%d9%88%d8%a7%d9%86+%d8%a7%d9%84%d8%ab%d9%84%d8%a

23–تدخلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي بقوة لوقف العدوان. وبسبب الضغوط الدولية أجريت مفاوضات لإنهاء النزاع، واتضح أن الضغط الأمريكي على فرنسا وبريطانيا للانسحاب من مصر كان حاسمًا.

24–انسحبت القوات البريطانية والفرنسية من مصر في نوفمبر 1956، وأعقب ذلك تدخل دولي للتحكيم في قناة السويس. وبالرغم من تدمير سلاح الجو المصري في هذه الحرب والانجاز العسكري لكل من إسرائيل وبريطانيا وفرنسا كما هو معروف ، لكن من الناحية السياسية والاستراتيجية العامة أسفرت الأزمة في النهاية عن تعزيز مكانة عبد الناصر وجعلته أيقونة للقومية العربية، وأظهرت أيضًا للعالم القوة المتزايدة للدول النامية في المحافل الدولية.

تدخل الرئيس الأمريكي ايزنهاور

25– كان قلق إيزنهاور يتعلق بالتكاليف المحتملة الفورية المباشرة للنزاع الفعلي – خصوصاً بالنسبة للمملكة المتحدة وفرنسا، اللتين ستكونان في قتال مباشر مع مصر، على الأرض وليس عبر المحيط – والتي قد تجعل قواتهما السياسية والعسكرية الضعيفة تقرر التضحية بأهدافها الاستراتيجية سواء مع أو بدون موافقة أو تأثير الغرب. وقد ساهمت مصادر متنوعة، بما في ذلك وبشكل حاسم المشاركين أنفسهم، في جعل السياسات المحيطة بهذه الخطوات المصرية والتأميمات النهائية تنحصر في سلسلة من الاستراتيجيات التي يتم ممارستها وكانت مكلفة في المدى القصير حيث كشفت الثغرات في الأمن المصري، وفي المدى الأطول بالتعامل مع التغيرات الجوهرية المتمركزة وإصلاحها بحيث لا تترك المصالح البريطانية والفرنسية بدون حماية مع تفكك مواقفهما تدريجياً. ان الولايات المتحدة، برفضها تدخل السويس، قد خلقت إطارًا جديدا تم من خلاله تقديم تضحية كبيرة من دون أي أمل حقيقي في المشاركة في الجهود المستقبلية من اللعب على حافة الهاوية بين أوروبا والاتحاد السوفيتي.

7%d8%ab%d9%8a+%d8%b9%d9%84%d9%89+%d9%85%d8%b5%d8%b1+%d8%b9%d8%a7%d9%85+1956%d8%9f

26-كانت أزمة السويس أول نزاع عسكري بمقياس كامل بين القوى العظمى الحديثة، ومعهما القوة الإقليمية الجديدة (إسرائيل) التي تمثل العدو اللدود لمصر وقيادتها الشابة والمنادية بالوحدة العربية واقامة الدولة العربية الموحدة العصرية . كان هذا النزاع قد جرى في عصر تداخل المجمع الصناعي العسكري مع الاقتصاد المدني. وبعد نحو ثلاثة أسابيع من اندلاع الأزمة، ووصول إسرائيل الى قناة السويس مستغلة التدخل البريطاني الفرنسي، وبعد شهور من إشارات إلى وجود موقف محتمل من هذا النوع، اقترح أيزنهاور ونفذ استراتيجية معقدة نوعًا ما لإجبار انسحاب القوات العسكرية للقوتين الكبرى وكذلك إسرائيل دون حرب إقليمية أو عالمية. ثم، دون الكثير من الضجيج، قام بتشريع الاستراتيجية التي أدت إلى جعل أزمة السويس مثالاً عن كيفية فوزه دون أن يبذل محاولات كثيرة على الإطلاق. في رأي إيزنهاور، لم تكن القوات العسكرية السوفيتية قادرة على أي جهد مستمر ضد الولايات المتحدة في ذلك الوقت، بل ربما كان الصراع قد أشغل القوات العسكرية السوفيتية عن الأولويات الرئيسية الاخرى مثل برنامج الأقمار الصناعية (سبوتنيك) انذاك. والأهم من ذلك، حتى لو قررت المملكة المتحدة وفرنسا الابتعاد تمامًا عن الصراع، كان ينبغي تحويل انتباه المملكة المتحدة، ، بعيدًا عن أهدافها الاستراتيجية التقليدية في المنطقة والتي كان العصر قد تجاوزها وعليها ان تضع أهدافا جديدة تنفذها باستراتيجيات جديدة.

أزمة الصواريخ الكوبية

27- من الامثلة الجيدة على هذه الاستراتيجية هو أزمة الصواريخ الكوبية التي وقعت عام 1962. كانت هذه مواجهة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بشأن الصواريخ النووية الموجودة في كوبا. لم تكن الولايات المتحدة ترغب في وجود الصواريخ لأن كوبا كانت قريبة جدًا منها وكان بإمكانها ضرب أمريكا بسرعة. وبمقاييس الولايات المتحدة، كان هذا غير مقبولًا، لذا سعت لفعل كل ما في وسعها لإزالة الصواريخ من كوبا أولا، لكي تتمكن بعد من تحديد خطواتها التالية ثانياً. لجأت أمريكا برئاسة الرئيس جون كندي، الذي يعتبر بطل سياسة حافة الهاوية آنذاك، الى استخدام استراتيجية حافة الهاوية لإخراج الصواريخ من كوبا. وقد نجحت هذه

الاستراتيجية نجاحا باهراً، حيث خشي السوفييت من المواجهة بين القوتين العظميين وتراجعوا في اللحظة الأخيرة عن الاستمرار في ارسال الصواريخ لنصبها في كوبا وسحبوا سفنهم عندما اصدر غورباتشوف أوامره الى سفنه بالاستدارة والعودة الى الاتحاد السوفياتي. كان العمل التصعيدي اثناء العمل على حافة الهاوية سيكون خطيرًا جدًا لأمريكا في ذلك الوقت، حيث كانت لدى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كميات كبيرة من الصواريخ، وكان استخدامها قد يؤدي إلى الدمار المتبادل المؤكد.

28–ان سعي خروشوف لنقل الصواريخ بشكل غير قانوني إلى كوبا كان يسير على حافة الخط الدقيق الذي حددته التصريحات السياسية السابقة للولايات المتحدة مبينة عواقبه العسكرية. وعندما تم رفع الستار عن هذه الاعمال في 28 يونيو 1962، قال وزير الدولة المساعد لشؤون الأمريكيتين، تشارلز باديلا، "بالتأكيد سنطعن في حق الاتحاد السوفياتي أو أي دولة أخرى في إدخال أسلحة هجومية علنًا، من دون ان تكون خاضعة لقيود متبادلة مضمونة." وأيضًا "نحن لا نعترف بحق أي شخص في إدخالها بشكل سري"، ويجدر بالذكر ان نتائج المواجهات المباشرة بين السفن الحربية الامريكية والسوفيتية كانت تختلف في كل مرة عن سابقتها وذلك لان الولايات المتحدة الامريكية لم تكن تتبع أسلوبا محددا واحدا في المواجهات، بل كان لكل مواجهة اسلوبها. ومن المهم أن نتذكر أن كل حالة أخرى انتهت بطريقة مختلفة لأن الولايات المتحدة ردت بشكل مختلف وليس بالضرورة لأن كل حالة كانت مختلفة ماديًا عن الأخرى.

سير الازمة والتصعيد

29–ان أزمة الصواريخ الكوبية هي مثال واضح على اللعب على حافة الهاوية. ففي اليوم الأول للأزمة، أدى التصرف الاستفزازي من قبل الاتحاد السوفياتي بإرسال الصواريخ الى كوبا ونصب قواعدها هناك، إلى خلق الموقف غير المقبول من قبل الولايات المتحدة الامريكية . فقامت الولايات المتحدة بفرض حظرًا تجاريًا على كوبا، وحاصرتها بحرياً، مما منع أي سفن سوفيتية من تسليم الصواريخ أو الإمدادات ذات

الصلة إلى الجزيرة. وقد أمر الزعيم السوفيتي نيكيتا خروتشوف، الذي ربما كان يعلم أو لا يعلم بقضية الصواريخ في كوبا حتى ذلك الوقت، بتوجيه أربع سفن لنقل الصواريخ نحو حليفه كاسترو في كوبا بشكل سري. وجدير بالذكر ان دوافع خروتشوف قد تكون دفاعية، نظرًا لأن غزوًا تدعمه الولايات المتحدة، مثلما حدث قبل عام في خليج الخنازير، كان سيكون له تأثير أكبر على الولايات المتحدة من المواجهات القليلة التي نتجت. وربما اعتقد خروتشوف أن الصواريخ، على الرغم من أهميتها الاستراتيجية لكوبا، لكنها لن تؤثر على التوازن الاستراتيجي بين القوى العظمى. ونظرًا لأن الصواريخ كانت تُنصب في كوبا لحماية فيديل كاسترو، فان خروتشوف قد يتوقع رد الفعل المحتمل من الرئيس الأمريكي. لكن خروتشوف لم يكن قادرًا على توقع التصميم والعزم الأكيد الذي أبداه جون إف كينيدي في بداية الأزمة للسعي إلى إيقاف تسليم أي صاروخ إلى كوبا، هذا العزم والتصميم الذي استمر حتى خلال ذروة أزمة الصواريخ. والذي أدى الى ان يصدر غورباتشوف أوامره الى سفنه بالاستدارة والعودة الى الاتحاد السوفياتي، وبالتالي انفرجت الازمة وتراجعت عن حافة الهاوية . ثم انتهت أزمة الصواريخ الكوبية في أكتوبر 1962 عندما وافق الرئيس الأمريكي جون كينيدي والزعيم السوفيتي نيكيتا خروتشوف على القيام بتبادل لسحب الصواريخ النووية السوفيتية من كوبا مقابل عدم غزو أمريكا لكوبا ورفع الحصار البحري.

الازمة الإسرائيلية الإيرانية 2024

الموقف الافتتاحي

30- من دون الدخول بتفاصيل وخلفية العلاقة المعقدة العلنية والخفية بين ايران وإسرائيل، سوف نتناول ادناه الحالة المحددة التي حدثت في شهر ابريل من عام 2024 ، بعد ان قامت إسرائيل ليلة 1/ ابريل ، بقصف مبنى القنصلية الإيرانية المجاور للسفارة الإيرانية في دمشق وبالتالي قتل خمسة من كبار قادة الحرس الثوري الإيراني العاملين في سوريا . وفي خضم الموقف المتوتر الناشئ عن العمليات العسكرية التي كانت

دائرة آنذاك في قطاع غزة بعد هجوم طوفان الأقصى الذي نفذته منظمة حماس في 7 أكتوبر 2023، والذي قامت بعده إسرائيل بمهاجمة القطاع بهجوم كاسح ما زال مستمرا حتى لحظة كتابة هذه الاسطر . ضمن هذه الظروف جاءت الضربة الإسرائيلية الموجعة الى ايران. وهنا تعين على إيران الرد بشكل علني وواضح للحفاظ على مصداقية مواقفها المعلنة في عدائها لإسرائيل، ولكن من دون التصعيد الى حرب مفتوحة معها في هذا الوقت بالذات، لحسابات إيرانية استراتيجية ذات نفس طويل. وبنفس الوقت فان اللاعبين الاخرين وعلى رأسهم الولايات المتحدة الامريكية الداعم والحليف الاستراتيجي الرئيسي لإسرائيل، لم تكن تريد ان تدخل حربا مفتوحة مع إيران كما أعلنت ذلك صراحة. ضمن هذه الظروف سنتناول هذه الجزئية من العلاقة بين إسرائيل وإيران بوصفها نموذج لاستراتيجية حافة الهاوية.

الموقف الإيراني ورد الفعل المحسوب

31- كما قلنا كان يتعين على ايران ان ترد ردا واضحا وموجعا بما يكفي لأفهام إسرائيل بأن ايران لا يمكنها تحمل هذا الاعتداء الصارخ والعلني على قنصليتها في دمشق والتي تعتبر من حيث العرف الدبلوماسي أراضٍ إيرانية، ناهيك عن قتل خمسة من ابرز قادتها اثناء تواجدهم داخل القنصلية، وهذا العمل بحد ذاته اعتداء صارخ على ايران لا يمكنها ان تقبل به او ان تسكت عنه وتقول انها ستحتفظ بحث الرد في المكان والوقت المناسبين. لذا أعلنت إيران وبكل وضوح انها سوف ترد بقصف الأماكن التي انطلقت منها الطائرات التي قصفت قنصليتها وقريبا جدا.

سير العمل والتنفيذ

32- وفعلا جاء الرد الإيراني ليلة 14/13 من ابريل 2024 ، والذي اطلق عليه اسم عملية الوعد الصادق على شكل رشقات من الطائرات المسيرة (دورن) التي تجاوز عددها ال 300 مسيرة وعدد من الصواريخ المجنحة من نوع الصواريخ الجوالة كروز وسبعة من الصواريخ متوسطة المدى البالستية، اطلقت جميعها ليلة 14/13 ابريل على اهداف في إسرائيل، وكان انطلاقها أساسا من الاراضي الإيرانية، لكن

البعض انطلق من أراض عراقية وأخرى سـورية[12]. هذه الحملة الهجومية تمثل أول هجوم مباشـر لإيران على إسـرائيل منذ بداية الحرب بالوكالة الإيرانية– الإسـرائيلية بعد الثورة الإسلامية الإيرانية ويعد هذا الهجوم من بين أكبر الهجمات التي شهدتها الحروب الحديثة.[13]

33– بعد هذه الضربة أعلنت إيران ان هذا هو ردها وانها تعتبر الموضوع منتهيا من ناحيتها، وكأنها تقول للإسرائيليين، كفوا عن الرد ولنعتبر الامر منتهيا وقد تعادلنا. تمكنت الدفاعات الجوية الإسرائيلية والدفاعات الجوية للدول المجاورة لإسرائيل وكذلك طائرات القوة الجوية الامريكية من اعتراض واسقاط أكثر من 90% من هذه الصواريخ والمقذوفات الإيرانية، والتي قالت الدعاية الإسرائيلية انها لم تسبب اية خسائر بشرية سوى جرح طفلة في منطقة النقب وبعض الاضرار البسيطة في السياج المحيط بقاعدة عوفر الإسرائيلية في النقب. لكن إسرائيل أيضا أعلنت انها سوف ترد ردا صاعقا وحاسما على ايران، وكان الكثير من المراقبين يتوقعون ان يكون رد الفعل الإسرائيلي شديدا وان تنتهز إسرائيل هذه الفرصة للرد على ايران بشدة وتدمر اكثر ما يمكن تدميره من مصانعها النووية او مصانع صواريخها ومقذوفاتها، وبذلك تعطي المصداقية لتصريحاتها وتهديداتها التي طالما تفوهت بها واطلقتها ضد ايران. لكن مالذي حدث؟؟

الرد الإسرائيلي

34– بعد اخذ ورد وإعلان وتصريح ، جاء رد الفعل الإسرائيلي ، بشكل ضربة من 3 صواريخ تم توجيهها الى قاعدة الطائرات المسيرة (الدرون) بالقرب من مدينة أصفهان ، تم خلالها تدمير منظومة الدفاع الجوي عن تلك القاعدة المهمة والتي

[12] https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2024/4/14/%d8%a3%d9%88%d9%84-%d9%87%d8%ac%d9%88%d9%85-%d8%a5%d9%8a%d8%b1%d8%a7%d9%86%d9%8a-%d8%b9%d9%84%d9%89-%d8%a5%d8%b3%d8%b1%d8%a7%d8%a6%d9%8a%d9%84

[13] https://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%B6%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%AA_%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%B3%D8%B1%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D9%84%D9%8A%D8%A9_%D8%B9%D9%84%D9%89_%D8%A5%D9%8A%D8%B1%D8%A7%D9%86_2024

تقع بالقرب من منطقة المنشئات النووية الإيرانية ، وكذلك اعقبتها ضربة مؤلمة لمعسكر (كالسو) في العراق في محافظة بابل والتي يعتقد انه يضم مقرات ومخازن أسلحة ومسيّرات تابعة للحرس الثوري الإيراني في العراق وكذلك لوحدات من الحشد الشعبي العراقي، وبدورها أعلنت إسرائيل انها ستكتفي بهذه الضربة في الوقت الحاضر وستراقب الموقف وانها على اتم الاستعداد لتوجيه ضربات مدمرة أخرى الى ايران اذا ما ردت وصاعدت الموقف .

الموقف النهائي

35- كانت النتيجة ان استقر الموقف وزال خطر التصاعد الى حرب شاملة وتنفس الكل الصعداء، وعادت الحال الى ما كانت عليه قبل يوم 1 / ابريل ، يوم توجيه الضربة الإسرائيلية الى القنصلية الإيراني بدمشق . مع تغيير جوهي وكبير ، وهو ان حالة الحرب بالوكالة او الحرب غير المباشرة او الخفية بين ايران وإسرائيل قدتحولت الى حرب مباشرة للمرة الأولى ، وان الاحتمالات واردة جدا عبى ان هذه الحالة سوف تستمر اذا ما تكررت الاشتباكات في المستقبل ، وهو ما تشير اليه التصريحات والتهديدات العلنية التي توجهها كل من إسرائيل وايران الى الاخر ، وما على القارئ الكريم الا ان يتابع وسائل الاعلام ليتبين له الموقف الحالي.

التحليل

36-نقاط جديرة بالملاحظة

قبل ان نحلل ما حدث علينا ان نأخذ بالاعتبار أمورا ونقاطا جديرة بالاهتمام كانت بمثابة قواعد اللعبة التي التزم بها الجميع الا وهي:

- لم يكن احد من الأطراف المشاركة في الموقف او في اللعبة وهم إسرائيل وايران وامريكا، والدول الإقليمية جميعها، بل وحتى العالم راغبا في حدوث تصعيد يؤدي الى حرب شاملة ومفتوحة بينها من جهة وبين ايران. ولاسيما أمريكا الداعمة لإسرائيل والتي أعلنت بوضوح انها سوف تسند إسرائيل بكل قوتها ضد إيران اذا ما اندلعت حرب مفتوحة معها. اما إيران فهي لم تكن تريد أيضا تصعيد الموقف

الى حرب مفتوحة، بل كانت تريد فقط ان ترد بضربة انتقامية تحفظ ماء الوجه كما يقال وتعطي المصداقية لقواتها العسكرية وقدراتها الصاروخية والسيبرانية المعلن عنها وغير المعلنة، ضمن استراتيجيتها المعروفة والتي تم التأكيد عليها من اعلى المستويات، وهي (الصبر الاستراتيجي) ومعروف عن ايران طول النفس والصبر على تحقيق الأهداف التي تتوخاها لحين حصولها على تلك الأهداف وتحقيق غاياتها . وان سياسة الصبر الاستراتيجي ليست سياسة عشوائية ، بل هي ضمن خطة للاولويات وضعتها ايران منذ انتهاء الحرب العراقية الإيرانية عام 1988 بالشكل المعروف والذي خرجت منها ايران بحالة بائسة ، لذا كان يتعين عليها وضع أولويات لضمان الاستقرار في البلاد ومن ثم إعادة ترتيب امورها واعادة بناء القوات المسلحة ومن ضمنها الحرس الثوري ، وبناء صناعة عسكرية متطورة والتركيز على الصناعة النووية والتي نجحت فيها ايما نجاح وأصبحت الان قادرة على انتاج أسلحة نووية بوقت قصير كلمح البصر ، سواء اعترفت بتلك الحقية أمريكا وإسرائيل ام لا . اذن فالصبر الاستراتيجي هو أسلوب إيراني ذكي وحكيم اوصلها الى تحقيق غاياتها وأهدافها وليس من مصلحتها في الوقت الحاضر الاشتراك بحرب مدمرة مع اطراف اقوى قد تدمر كل ما بنته وتمحي كل المكاسب.

- اما إسرائيل فبالتأكيد كانت كذلك لا تريد التصعيد مع ايران الى حرب شاملة وهي مازالت في خضم حرب لا متماثلة ضد حماس في غزة مع احتمال اندلاعها في جنوب لبنان ، والتي اثارت شعوب العالم بأجمعه في نهاية الأمر ضدها نظرا للوحشية المتناهية التي ادارت بها الحرب والتي تجاوزت كل القيم الإنسانية وضوابط القانون الدولي للحرب .
- كانت إيران مضطرة للرد ولا مناص من توجيه الضربة الانتقامية
- قامت ايران بإشعار أمريكا، وربما اشعار اطراف أخرى عن طريق طرف ثالث ام بشكل مباشر بموعد الضربة ونوعية الأسلحة واهداف الضربة، وبذا اتاحت

الفرصة للجميع لتوقع الضربة، بل وتحديد موعد انطلاقها، مما أتاح لهم التعامل معها وتجنب اضرارها وبالشكل الذي حدث فعلا .

- كان هدف ايران من هذه الضربة هو افهام إسرائيل بانها قادرة على الرد، والرد الموجع، وانها قادرة على الوصول الى العمق الإسرائيلي متى شاءت بالرغم من الدفاعات الجوية الإسرائيلية والقبة الحديدة للدفاع الجوي وغيرها.
- لم تعلن إسرائيل عن موعد ردها الشامل كما وصفته أولا، لكنها قالت انها ستقوم بالرد بكل تأكيد وبما يؤذي ايران، وقامت بذلك فعلا ولكن باقل ما يمكن من القوة
- مارست أمريكا ضغوطا قوية على إسرائيل لتكبح جماحها ولكي يكون الرد من النوع الذي لا يؤدي الى التصعيد الى الحرب، أي ان يكون اللعب هنا على حافة الحرب او حافة الهاوية.

النتائج المتحققة

- **ايران:**

علينا ان نوجه السؤال لأنفسنا، بغض النظر عن الدعاية والحرب النفسية وحرب المعلومات التي مارسها الطرفان المتنازعان ومن يؤيدهما، هل نجحت ايران في تحقيق أهدافها من الضربة؟ والتي سبق ان أعلنتها وبياناها أعلاه؟ ان الجواب بكل تأكيد ان **نعم** انها نجحت، فقد اثبتت انها تتمكن من الرد بالشكل الذي تريده، وانها تمتلك ما يكفي ويزيد من الأسلحة المناسبة للرد ن وانها تتمكن من الوصول الى اية منطقة او هدف حساس داخل إسرائيل ، وانها لم تكن تريد إيقاع خسائر كبيرة بشرية في إسرائيل ، والا لوجهت صواريخها نحو المدن المكتظة بالسكان (لكن هذا كان سيؤدي بلا شك الى استفزاز إسرائيل بما لا يمكن معها كبحها)، وانها لا تريد تصعيد الموقف الى الحرب . فهل حققت إيران ذلك؟ اعتقد ان الجواب هو بالإيجاب بشكل مؤكد . اما ما يقال من ان الصواريخ التي اطلقتها ايران قد سقط 90% منها وانا لم تصيب أهدافها وانها لم تسبب الخسائر ، فهذه اقوال هراء ، لأن العبرة من الصواريخ والأسلحة ان تحقق النتيجة او المقصد ، والذي بيناها هنا انه كان اثبات إمكانية الوصول الى أي نقطة داخل إسرائيل

واختراق دفاعاتها الجوية ، واحد أساليب اختراق الدفاعات الجوية هو أسلوب الاشباع الذي يعرفه العسكريون واختصاصيو الدفاع الجوي ، بان تقدم أهدافا كثيرة الى منظومة الدفاع الجوي بحيث تتجاوز قدرة المنظومة على التعامل مع جميع الأهداف ، نعم سيسقط معظمها ، لكن ستتمكن النسبة المتبقية من المضي نحو أهدافها واصابتها. اما مقولة انها لم تسبب خسائر، فالجواب نعم وهو هذا المقصود. اذن كانت الضربة ناجحة لأنها حققت أهدافها.

- **إسرائيل** :

هل حققت إسرائيل هدفها بردع ايران وافهامها بانها تتمكن من الرد وبشكل اكثر ايلاما لو استمرت ايران بالأفعال التي تعتبرها إسرائيل منافية لمصالحها في المنطقة؟ اعتقد ان الجواب هو بالإيجاب لحد كتابة هذه الاسطر، حيث لم ترد ايران برد آخر ولو انها تهدد وتتوعد بالرد في حالة اجتياح إسرائيل لرفح ضمن عملياتها في قطاع غزة ونحن في شهر مايس من علم 2024، بل ان أفعال إسرائيل باستهداف مقرات القوات الموالية لإيران في المنطقة ولاسيما في سوريا قد تضاءلت الى حد ملحوظ بعد هذه الاحداث .

- **أمريكا** :

هل حققت أمريكا هدفها بالسماح لإيران بالرد ولاسرائيل بالرد المقابل، وعدم التصعيد وعبور عتبة الحرب؟ الجواب بالتأكيد نعم

الاستنتاج

بضوء ما جاء أعلاه، نرى ان الجميع قد مارس استراتيجية اللعب على حافة الهاوية ونجح فيها وحقق أهدافه . وتعتبر هذه الحالة ممارسة فريدة ومثالية لسياسة واستراتيجية حافة الهاوية حتى الان.

الخاتمة

ان سياسة واستراتيجية حافة الهاوية تحمل في طياتها العواقب المأساوية لأن الوقت المتاح لاتخاذ القرارات لتجنب الحرب غالباً يصبح قصيرًا للغاية. في الشؤون الدولية، يجب أن

نكون حذرين جدًا في استخدام التهديدات لأنها لا تعمل دائمًا كآلية سياسية. قد تجعل كل من الطرفين يبالغان في تقدير قوتهما الخاصة وبالتالي لا تُجري اي تنازلات. و في الشؤون الداخلية، فان خشية فقدان السلطة لها تأثير مهم على الحكام الحاليين. ومع ذلك، فهذا ليس هو الحال في العلاقات الدولية حيث يتم استبدال الحكومات في الانتخابات ليس من قبل شعوب دول أخرى، وإنما بواسطة شعوبهم الخاصة.